علاقة الطب بالكهنوت

يتمسك القوم بالمبادئ الكهنوتية في مقاصدهم الشريفة ،حرصا عليها من الشوائب التي لا تناسبها. وكانوا يدعون الناس أحراراً في الالتحاق بشؤون المعايش أو الانضمام إلى فريق الكهنوت، ويميزون مهنة الطب عن باقي المهن بالاحترام والدقة، ولهذا حتموا أن لا يشتغل بالطب سواء من قبيل التلقي العلمي أو المباشرة العملية فيه إلا من يكون أمضى سنوات في الكهنوت وتحصل على الشهادات التي تؤهله لمزاولة فن الطب علميا أو عمليا.

وبمقتضى ذلك كان الأطباء على علم تام بقواعد الكهنوت ليباشروا وظائفهم بطهارة القلب ونزاهة النفس وحسن الإيمان بقدرة الإله الأعلى ولهذا كان الأطباء يفضلون اتخاذ عياداتهم في ذات المعابد أو بالقرب منها على قدر الإمكان، لأن الشعب وقتها كان كثير التعلق بأماكن التعبد فعندما يشعر الفرد بأي انحراف في صحته أو اعتلال في مزاجه يقصد التبرك بأماكن العبادة ومن فيها، فبوجود العيادات بدائرتها تسهيل على المريض والطبيب.

والملوك لثقتهم بمكانة الأطباء المشهورين بأنهم خدمة للبشر جعلوا لهم شعاراً في هرات الحياة، ويمنحونهم معاملة خاصة إظهاراً للعناية بهم وبرهانا للعطف عليهم، من ذلك إعفائهم من نصف الضرائب المقررة على الممتلكات بأنواعها واستدعاؤهم في الاحتفالات الرسمية ولو لم يكونوا ذوى ألقاب مدنية لأن لقب الطبيب كان يفوقها تكريما واحتراما. ومن مميزاتهم أن ينتخب أطباء الملوك الأخصاء ورجال حاشيتهم من أولئك الأطباء البارعين وعدم حرمانهم من التزوج إذا رغبوا فيه والإقامة بعائلاتهم خارج المعبد.

وكان المألوف في تلك العصور أن ينقد الطبيب أجراً ماليا عقب شفاء المريض

بنسبة حالته بين قومه، ثم عدلوا عن هذه الطريقة وقرروا أن كل مريض من بدء توعكه يمتنع عن حلق شعره أو قص شيء منه حتى يتم شفاءه. وفي يوم النقاهة يحلق شعره ويزنه بالفضة أو الذهب ويسلم كل ذلك إلى المعابد التي كانت تؤدي للأطباء رواتب شهرية نظير حصولهم على هذه الأجور مع ما كان يقدم لها من النذور من المصحوبة بصورة العضو الذي كانت له المعالجة مرسوما على ألواح من المعادن لتحفظ في الهيكل تذكارا وتبركا.

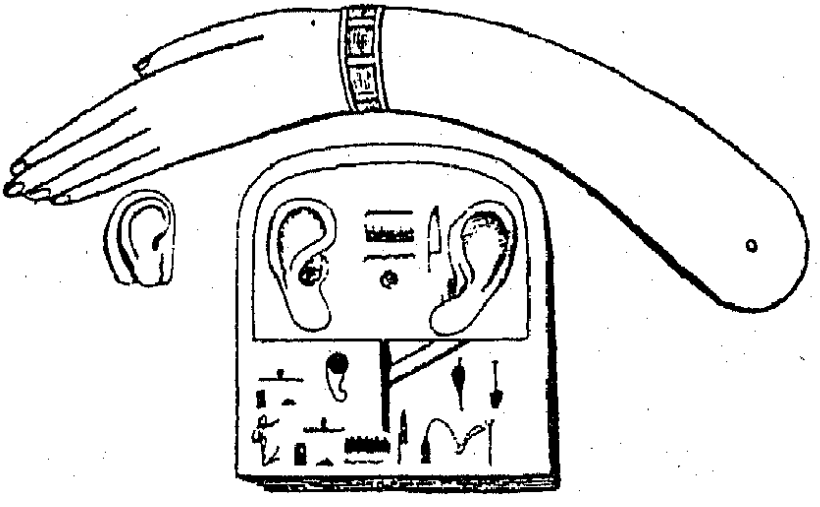

رسم تذكار هدايا من الفضة قدمها قدماء المصريين للمعابد والهياكل

وكان الأطباء الكهنة أشد الناس حرصا على كتمان أسرارهم العلمية ولا يلقنونها لغير الأكفاء.

وقد ذكر هيرودوت في كتابة عن الطب والأطباء عند قدماء المصريين إن كبارهم العلماء كانوا في أواخر الدولة الحديثة ،أي القرن الخامس ق.م يجعلون لأنفسهم اختصاصا في بعض الأمراض يتفرغون للبراعة فيه. فمنهم من كان للأمراض الباطنية، ومنهم من كان للرمد، ومنهم من كان للرأس والأسنان وهكذا (فليس

التخصص من محدثات هذا العصر كما يزعم البعض).

وكان العلماء من الأطباء الكهنة على شهرة عظيمة حتى في غير بلادهم المصرية، فكثيرا ما انتدب فضلاء منهم لعلاج الملوك الأجانب فاستوطنوا في ممالكهم ، ومنهم من كان يستدعى لمعالجات ويعود كما حصل كثيرا في عهد شورش وداريس من ملوك العجم، ومن الأطباء من كان ينتدب لمعالجة المرضى والجرحى في الحروب في الحروب. ومن هذا يتضح أن استصحاب الأطباء بالجيوش المحاربة في تنقلاتها ليس من مبتكرات العصر الحاضر بل قد سبقت إليه عناية قدماء المصريين اعترافا بفضل أطبائهم وحرصا على حياة أبنائهم في ميادين القتال.

وكان بين الأطباء المصريين من يفضل الوجود في المدن الأجنبية التي يكثر عليها تردد التجار المصريين ليؤدوا ما يحتاجونه من المعالجة والإسعافات مجانا، لأن الحكومة كانت تمنحهم الرواتب الوافرة للقيام بذلك. ولأولئك الأطباء شهرة ذائعة في تاريخ العالم القديم، وتشهد مؤلفات أهله بذلك ومنها ما كتبه عنهم هومير وهيرودوت وسترابون وديودور الصقلى.

وكان لبقية البلاد ما يوجد في عواصمها من الأطباء البارعين للعلاجات المتنوعة ومن ضمنها جبر العظام ببراعة (يتوارثها عنهم بعض الخلف إلى اليوم).

ولما انتشر علم الطب بين الطبقات في خدمة الهياكل البسيطة اكتفوا بما كانوا يتلقونه في معالجة الفقراء مجانا بدلا من الرقى والتمائم التي كانت متبعة في تلك الأحيان، ولبعض البسطاء تمسك بها في الأقاليم للآن.

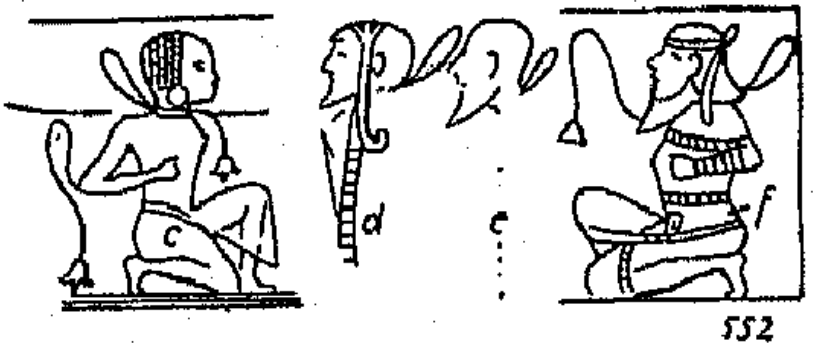

552